7-نظرية الأنواع الأدبية

سبق الحديث عن قضايا تعريف الأدب ووظيفته أو وظائفه، غير أن سؤال الأنواع يطرح إشكالا مختلفا، إذ تحت مسمى أدب تندرج مجموعة من الأنواع أو الأجناس، ومن المفروض التفكير في آليات التصنيف وأسسها وكلها أسئلة تندرج ضمن ما يسمى **علم الأنواع الأدبية أو نظرية الأنواع الأدبية**.

فرغم أن الدراسات النقدية الحديثة رسّمت مجموعة من القواعد والمقومات المؤطرة لكل نوع أدبي (**نظرية الشعر، نظرية الرواية، نظرية المسرح**....) إلا أن ما تهتم به نظرية الأنواع يتصل بشكل مباشر بسؤال أسباب وجود الأنواع وأسس التصنيف دون الدخول في هذه الخصوصيات الضيقة.

ويعتبر **أرسطو صاحب أول نظرية للأنواع الأدبية**، حيث ميز بين **التراجيديا والكوميديا والملحمة** على أساس القيمة والماهية. وقد كتب لهذا التقسيم أن يعمر حتى حدود القرن السابع عشر، حيث بدأ التمرد على هذا التقسيم من خلال التفكير في إدماج المأساة والملهاة، بل إن الأمر بلغ ب**كروتشيه** حد محاولة تحطيم كل مفهوم كلاسيكي، لذلك نفى انقسام الأدب إلى أنواع. أما **هدسون** فقد ربط وجود الأنواع الأدبية بالاستجابة لحاجات نفسية بشرية، فوجودها يرتبط بتنوع الحوافز الذاتية للبشر، بين **الميل إلى التعبير الذاتي** (الشعر)، **والاهتمام بالناس** (المسرح)، وبين **الاهتمام بالواقع والخيال** (القصص)...

وإجمالا فإن جميع النقاد والمفكرين لا يعترضون على أن الأدب ينقسم إلى قسمين كبيرين هما الشعر والنثر، وعلى أسبقية الشعر على النثر؛ (وهو سؤال طرح أيضا في السياق العربي خاصة من المعترضين على مقولة علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه)؛ دون التفكير في مزاحمة أحدهما للآخر، بل إن أسبقية الشعر ترجع إلى ما يؤطر النثر من شروط سواء المرتبطة بالقراءة (فالنثر عادة ما يقرأ)، أو المرتبطة بالكتابة والطبع وانتشار التعليم ومهن الكتابة والطباعة. غير أن السؤال الأهم هو ما معيار التقسيم بين النثر والشعر؟

من الدراسين من يستند في **التقسيم إلى الموضوعات** وهو تبرير غير حاسم، في حين ذهب رأي آخرين إلى مكوني **الموسيقى والوزن** (القافية)، وهو أيضا اعتبار غير مفيد خاصة إذا استحضرنا الفلاسفة الأوائل في الإغريق الذين كانوا ينظمون أفكارهم في أوزان وقوافي، أو إذا استحضرنا المتون كالألفية وغيرها، فهي رغم توفرها على مكوني الوزن والقافية إلا أنها لا تندرج ضمن الأشعار بل تعتبر نظما.

كما يوجد **رأي آخر يعزو التقسيم إلى مصدر كل من الشعر والنثر**، حيث يعتبر الشعر صادرا عن الشعور أي معبرا عن الحالة الوجدانية ومتوجها إلى المشاعر، في حين يتوجه النثر إلى الذهن والفكر.

غير أن ما ينبغي التأكيد عليه هو أن **بين الشعروالنثرفرقا في استخدام اللغة، فلغة الشعرتعتمد على الإيحاء أكثر من لغة النثر**، فالشاعر يعتمد على لغة إيحائية قادرة على تصوير الحالة النفسية والعاطفية التي يعبر عنها، كما يعتبر البعض الفرق متمثلا في **طرق تلقي الفن**، فهي المتحكمة في شكله ولغته بين فنون سماعية وأخرى مشاهدة وأخرى تجمع بين السماع والقراءة، دون إغفال من يربطون الشعر بالشعور والانفعال، والنثر بالأفكار؛ ختاما نشير إلى أن للشعر بصمة أساسية تميزه عن النثر وهي الموسيقى والصيغة الشعرية.

8-الأدب وعلم النفس

لا يمكن لمنتج كالأدب يعتبر تعبيرا عن الذات إلا أن يجد في علم النفس سندا للتعمق في دراسة الحالات النفسية لأطراف العملية الإبداعية، فبين النص الأدبي والمبدع والقارئ أواصر قربى يمكن للدراسات النفسية أن تفيد في كشف خلفيات الإبداع وتأثيراته، خاصة بعد سنوات ظلت فيها أسرار الإبداع دون أن تجد لها تفسيرا واضحا يخرجها من أسر تفاسير غامضة؛ ذلك ما عمل علم النفس على الكشف عنه من خلال **طرح سؤال العبقرية** وأسرارها، بل إن نتائج هذه الدراسات خاصة مع فرويد وبعده استطاعت أن تقتحم عالم النقد الأدبي لتؤسس لمنهج نقدي جديد سمي بالمنهج النفسي.

إن الدليل على الارتباط الوثيق بين النقد الأدبي والدراسات النفسية تعكسه مجموعة من المصطلحات التي ترجع في الأصل إلى الدراسات النفسية إلا أنها تستخدم من طرف الناقد الأدبي، ونذكر منها:

الحياة العقلية، الشعور، اللاشعور أو العقل الباطن، الاستعدادات والدو افع، الإدراك الحسي، التصور، التخيل، الانفعال، الوجدان...

فهذه الشبكة المصطلحية التي هاجرت من علم النفس إلى الأدب تثبت بما لا يدع مجالا للشك الروابط الوثيقة بين الأدب وعلم النفس، كما تثبت ما أسهمت به الدراسات النفسية في إضاءة جوانب هامة من عملية الإبداع الأدبي، وهو ما يكشف عنه اعتراف فرويد بسبق الأدباء في اكتشاف العقل الباطن أو اللاشعور.

كما تعتبر نظرية التطهير الأرسطية نموذجا صارخا للتعالق الحاصل بين الأدب وعلم النفس، إذ انطلقت من بحث تأثيرات الأدب في النفس وقدرته على تعديل القيم والسلوك البشريين، دون إغفال المفهوم الجديد للأدب الذي ربط الإبداع عامة **بنظرية الانعكاس النفسية**، فهو مرآة عقل الأديب ونفسه. أما عند فرويد فهو تعبير عن المكبوتات المخزونة في اللاشعور، لأنها تتضمن العقد والطباع والتأويلات الباطنية، فنتاج الأديب صورة لنفسه وتاريخ لحياته الباطنية.

غير أن ما ينبغي الإشارة إليه في الأخير، هو أن اعتبار الدراسات النفسية للإبداع وثيقة نفسية قد يؤدي إلى إهمال الجوانب الجمالية والفنية للإبداع.